هذا ولا يقدح في ايمانهِ ما جاء لهُ من الطعن في بعض الوعّاظ من اهل عصرهِ لما كان يرى فيهم من الحرص على الدنيا والكلَف بجمع حطامها وذلك كقولهِ:

طلب المعاش وارتقى في منبرٍ يصفُ المعاب لامةٍ ليهولها
ويكون غير مُصدّقٍ بقيامةٍ امسى يمثّل في النفوس ذهولها

فلا يلزم عن الرمي بالزندقة ان يكون الرامي زنديقًا كما لا يخفى

تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء

ملحق النبذة السابقة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

اننا نشكر جناب الشيخ الفاضل واللغوي الشهير سعيد افندي الشرتوني على ما جمعهُ في نبذتهِ من الشواهد الناطقة بتديّن ابي العلاء المعري بيد اننا كنّا وددنا لو حاول الكاتب النحرير ان يحلَّ مشكلًا صعبًا وهو ان يبيّن كيف امكن رجلًا من مقام ابي العلاء المعري ان يتردَّد بين الكفر والدين ويتلوَّن كأبي براقش يومًا بلون الحق ويومًا بزيّ الباطل

ولا نشك ان جناب الشيخ لو تصدَّى لهذا البحث لأبان الرغوة عن الصريح. وان يسمح لنا نعمل النظر في هذا الامر فنقول:

اننا لا ننكر انَّ في ديوان ابي العلاء المعرّي المعروف بلزوم ما لا يلزم ابياتًا اذا سمعها السامع أفتى لاوّل وهلةٍ انَّ قائلها زنديقٌ لا يعبأ بالدين. بيد انَّ في هذا الديوان نفسهِ ابياتًا غيرها فيها تلوح شعائر الدين كالشمس في رائعة النهار منها ما اوردهُ جناب الشيخ سعيد آنفًا وغيرها كثير لا يسعنا ذكرها لضيق المجال. أفيكفي القول لشرح هذا التضادّ انَّ المعري تردّد بين الصدق والكذب وبين الباطل واليقين

لا لعمري فان هذا التضادّ لا يطابق ما كتبهُ عن المعرّي اهل زمانهِ من زهدهِ في الدنيا وورعهِ وتقاهُ وصبرهِ على العمى حتى انهُ كان يقول (انيس الجليس ١: ٢٧٩): « انا احمد الله على العمى كما يحمدهُ غيري على البصر ». فمن يقول انَّ زنديقًا ينطق بمثل هذا القول المنبئ بصبرٍ جميل على اعظم محن الدهر

وزد على ذلك انَّ ابن خلكان وغيرهُ من المؤرخين ذكروا ان العلماء والوزراء واهل الاقتدار فضلًا عن الطلبة كانوا يفتخرون بصداقته ويكاتبونهُ ويسيرون اليه من الآفاق ليسمعوهُ ويأخذوا عنهُ فهل يمكن القول انَّ مثل هؤلاء استطاعوا ان يخالطوا رجلًا ملحدًا كافرًا ؟ وكذلك اخبر الحافظ السلفي انهُ لما توفي المعرّي رثاهُ نحو مائة وثمانين شاعرًا منهم فقهاء ومنهم محدّثون ومنهم صوفية وقد ترجم الحافظ باسمائهم فكيف اتفق مثل هؤلاء ارباب الدين ان يمدحوا زنديقًا مأبونًا في دينهِ . فبقي علينا ان نطالب وجهًا للدفاع عن شرف المعري فنقول مستندين في قولنا الى اصدق الادلّة :

١ً انهُ لمكن انَّ المعري قال في شبابهِ بعض الابيات المؤذنة بفساد المعتقد ورواها عنهُ بعض اصحابه الّا انهُ تاب عنها بعدئذٍ وصرّح عن اعتصامهِ بالدين . وهذا وجه حسن لحلّ هذه الأُعوبة ويدفع عن المعرّي معرّة الكفر . وقد قيل انَّ التوبة تكفّر عن الحوبة

وليس رأينا هذا محض اختلاق بل رواهُ ابن الوردي في تاريخهِ (١ : ٣٦٠) نقلًا عن كتاب دفع المعرّة عن شيخ المعرّة حيث قال انهُ وجد المعرّيَّ في ديوان لزوم ما لا يلزم مذبذبًا حائرًا في الدين لكنَّ الكتب التي ألّفها بعد ذلك خصوصًا ضوء السقط تُصلح هذا الفساد وتوضح رجوعهُ الى الحقّ وصحّة اعتقادهِ . وضوء السقط خاتمة كتبهِ والاعمالُ بخواتمها

٢ً انَّ اقوالًا كثيرة نُسبت الى المعرّي وهو بريء منها . فكان اعداؤهُ وحسّادتهُ ينظمون ابياتًا كفريّة فيشيعونها على اسمهِ ليبخسوا قدرهُ . قال صاحب ترجمة المعري في صدر ديوانهِ لزوم ما لا يلزم (الطبعة المندّية) : « اعلمْ ابا العلاء كان في زمان مثل زماننا هذا يعني كل امرئٍ انكر المنكر فيرمونهُ بسوء الاعتقاد ليغروا بهِ الملوك كما قال الامام ابن حزم : « انا طريد الملوك لاني اقول الحق ولا أُبالي » . وقال صاحب انيس الجليس (١ : ٢٧٩) : انَّ تلامذتهُ وغيرهم كانوا يعملون على لسانهِ الاشعار ويضيفونها أقاويل الملاحدة قصدًا لاتلاف نفسهِ . ويشهد على هذا قولهُ :

حاول إهوانيَ قومٌ فما راجتهُم الّا بإهوانِ
وقوّلوني بقالاتهم فنبّروا . نبّة اخرانِي
لو استطاعوا لوشّوا بي الى المرّيخ في الشهب وكيوانِ

وكان يقول ايضا (ابن الوردي ١ : ٣٦٠) : « انا شيخ مكذوب عليهِ » . فان صحّ

هذا القول فلا غرو ان نجد في شعره أقوالاً توذن بفساد عقيدته وقد دسّوها في كتبه ظلماً. لكن الانسان ليس بمسؤول الّا عن اعمال يديه

٣ قد راجعنا كثيراً من الابيات التي استند اليها الرواة ليرموا ابا العلاء المعريّ بالزندقة والكفر فوجدنا لشرحها وجهاً صوابياً ليس فيها من الالحاد ما زعم هؤلاء كقوله:

النفس عند فراقها جثمانها عزونةٌ لدروس ربع عامر
كحمامة صيدت فشتّت جيدها اسفاً لنظر حال وكر دامر

فزعموا انّ هذا القول ينفي البعث ومن تأمّلهُ بعين الصواب لا يجد فيه شيئاً من ذلك. فان تشبيهُ للجسم بعد الموت بالوكر الدامر لا ينفي اعتقادهُ بالبعث يوم القيامة ولهُ ابيات كهذه ظاهرها الانكار ومن نقدها يجد انّ المعري لا يجحد البعث نفسهُ وانما ينكر شيئاً من أحوال المبعوثين

وكذلك لم يستحسنوا للمعرّي قولهُ عن المنجّمين:

يتجسون وما يدرون لو سُئلوا عن البعوضة أنّى منهمُ تقفُ

وقولهُ: سلطانك النار ان تعدلْ فنافعةٌ وان تجُرْ فلها خيرٌ واحراقُ

وقولهُ عن قضاء الله:

قضى الله فينا بالذي هو كائن فتمّ وضأت حكمة الحكماء
وهل يأبق الانسان من ملك ربهِ فيخرج من ارضٍ له وسماء

ولكل هذه الابيات معانٍ صحيحة لا تخفى على البصير. قال كمال الدين ابن العديم في رسالتهِ المسماة دفع التجرّي على المعرّي ذكر فيها محاسن هذا الشاعر وفضائلهُ وقال فيها: «انّ سائر ما في ديوانهِ من الاشعار الموهومة فهي اما مكذوبة عليهِ او هي مؤوّلة كما اوّلوا كلام محيي الدين ابن العربي وغيره من الصوفيّة»

٤ ومما يبرّئ ابا العلاء من وصمة الكفر ان لهُ اقوالاً كثيرة يهجو بها المرائين ومن يتخذ الدين كوسيلة لغايات شخصيّة لا لوجه الله وكذلك تراهُ يندّد بخرافات دخلت في بعض الاديان وهي من الدين مناط الثريّا. كقولهِ:

رأيتُ جماعات من الناس أُولعت باتيان اشياء استحال ثبوتها
وقولهِ: اذا رام كيداً بالصلاة مقيمها فتاركها عمداً الى الله أقربُ
وقولهِ: افيقوا افيقوا يا غواةً فانما دياناتكم مكرٌ من القدماء
أرادوا جماجم الحطام فادركوا وبادوا وماتت سنّة اللوماء

فبقوله « غواة » خصَّص اهل الديانات الباطلة . ومن ذلك ابيات رواها ابو الفداء اولها:

عجبتُ لكسرى وأشياعهِ وغسل الوجوه ببول البقرْ ...

ومنها ايضاً قولهُ عن الاحاديث الضعيفة التي لم يروِها الائمة:

جاءت أحاديث ان صحَّت فانَّ لها شأناً ولكنَّ فيها ضعفُ إسنادِ
فشاورِ العقلَ واترك غيرهُ هدرًا فالعقل خير مشيرٍ ضمَّنهُ الهادي

فترى من هذه الأقاويل ان ابا العلاء لا يطعن في الاديان بل يردُّ ما يجد فيها مضادًّا للعقل السليم (١ او ما كان مخالفاً لمبادئ الدين الحق

ومن عجيب الامور ان الخصام المعري نسبوهُ الى الالحاد لانهُ امتنع ٤٥ سنة عن اكل اللحم وقالوا انهُ تذهب بمذهب الهنود الذين يحرّمون ايلام الحيوان. واستندوا في هذه الشكاية الى بعض اقوالهِ المبهمة. وقد ردَّ عليهم تلميذهُ ابو الحسن علي بن همام لمَّا وناهُ بقولهِ:

ان كنتَ لم تُرِق الدماء زهادةً فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما

ولو تمعَّن هؤلاء المنتقدون لوجدوا في هذا البيت تفنيدًا لما زعموا لانهُ بقولهِ « لم تُرِق الدماء زهادةً » بيَّن انهُ امتنع عن اكل اللحم زهدًا بلذاذ الدنيا والشهوة الحلال

وكذلك زعموا انهُ لم يحلِّل الزواج الشرعي بقولهِ:

على الوُلد يحني والدٌ ولو أنهم ولاةٌ على امصارهم خطباء

ومثلهُ قولهُ وكان اوصى ان يُكتب على قبرهِ:

هذا جناهُ ابي عليَّ وما جنيتُ على احدِ

غير ان مثل هذه الاقوال تدخل في باب العتاب على الدهر وآفاتهِ وليست هي مذهباً كفريًّا . وقد جاء مثل ذلك في كثير من الشعراء وفي سفر ايوب البار لمَّا لعن يوم ميلادهِ وتمنى لو لم يكن بُشِّر ابوه بولادتهِ

هذه وجوهٌ اربعة نعرضها على الادباء ليبرّئوا بها ساحة ذاك الشاعر المفلق من معرَّة

---

(١) ولعلَّ ابا العلاء توهم الخطأ في بعض الديانات فردَّ على ما لم يدرك صحَّتهُ. من ذلك ما كتبهُ عن عقائد النصارى (راجع انيس الجليس ١ : ٣٨٢) وقد فنَّد قولهُ المطران جرمانوس فرحات وغيرهُ

الزندقة فعساها ان تحوز لديهم قبولاً ليفحموا بهـا ملحدي زماننا اذا ما حاولوا والتجأوا الى اقاويل ابي العلاء رجاء ان يؤيدوا بها كفرهم. صان الله شرقنا العزيز من هذا الوباء وعواقبه الوخيمة

ما ورثهُ اهل العراق

عن الاشوريين والكلدانيين العتـاق

بقلم حضرة الدكتور نابليون ماريني (تتمة)

الزيُّ

اذا تفرسنا اليوم في واحد من سكَّان العراق وانعمنا النظر في زيّهِ لرأيناهُ مركَّبًا من ثلاث قطع وهي: قميص وقبـاء (ويلسان العراقيين «زبون») وعباءة. فالقميص يُتَّخذ من الخام البسيط الابيض اللون او الازرق ينزل الى ما تحت الركب بقليل. والقباء هو من القطن المغزول او من الصوف ينزل الى ما تحت القميص. والعباءة كلهـا من الصوف الخالص او من وَبر الابل تغطي القباء كلهُ. وعلى رأسهِ العرقجين (اي العرقيَّة) وعلى هذا العرقجين ملفوف الشماغ (كوفيـة من القطن الابيض المغزول يتخلَّلها نقط منسوجة من قطن ازرق اللون او احمرهُ) على هيئة العمامة. والبعض يستعمل الطربوش عوضًا عن العرقجين والعقالَ عوضًا عن العمامة

اما الاغنياء والمتوسطو الحال فيزيدون قطعة رابعة على ما سبق ذكرهُ وهي اللباس (او السراويل) الذي يغطي عورة الانسان ويلبسون القباء المنسوج بالحرير او بالكتَّان والعبـاءة من وبر الابل تزيَّن نصفَها الاعلى نقوش ذهبيَّة او تطريز بالقصب الحلبي ويتَّخذها البعض من الجوخ الفـاخر او من الحرير الطبيني النادر الوجود وهو ما يسمونهُ «بالجيناوي»

ويلبس اغلب العراقيـين في ارجلهم ما يسمونهُ «باليَمَني» وهو حذاء خفيف الحَمل لا كعب لهُ ولا سيور. نعلهُ من جلد الجاموس او من جلد البعير والبقيَّـة من جلد الماعز او الغنم المصبوغ بالاحمر او بالاصفر او بالاسود. والمتوسطو الحال من اهل البادية